الفصل الثالث

★ **في انتصاره في النفوس وإيثاره.**

الآيـــــات

١ - ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

(المائدة: ٨٣)

٢ - ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾

(الاعراف: ١١٨ - ١٢٠)

٣ - ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٥٩)

٤ - ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٨١)

٥ - ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(يوسف: ٥١)

٦ - ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

فَيُؤْمِنُوا بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الحج : ٥٤)

٧ - ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾

(القصص : ٥٣)

٨ - ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

(سبأ : ٦)

٩ - ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾

(الشورى : ١٨)

١٠ - ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الاحقاف : ٣٠)

١١ - ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾

(محمد : ٢ ، ٣)

١٢ - ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

إننا نرى على مر التاريخ من يؤثر الحق على نفسه فيقتل أو يصلب أو ينشر بمنشار يوضع فى مفرق رأسه فلا يزيده ما يلاقيه فى سبيل الحق إلا استمساكا به وثباتا عليه.

وتلك دلالة انتصار الحق فى النفوس وإيثاره على ما سواه. ترى ذلك فى الأنبياء والرسل وأنصارهم ومن اتبعوهم بأحسان تراهم يواجهون بالحق الذى يؤمنون به باطل عصرهم وزمنهم ويقابلون من الإغراء والتهديد ما يقابلون فلا يميلون عن الحق ولا يمالئون الباطل بل يستمسكون بالحق ويموتون عليه ـ وهم على معرفة بحقيقته وحسن عاقبته ـ وترى الحق عزيزا فى نفوسهم لا يستخف ولا يستدرج ولا يهين ولا يستكين.

ولا ترى شيئا ينتصر فى النفس انتصار الحق عندما تخالط بشاشته القلوب ويسطع نوره فيها. ترى كل شىء من أمر الإنسان خاضعا له راضيا به وترى سكينة النفس معه ولينها عند حديثه وتبصرته. ﴿**ذلك هدى الله يهدى به من يشاء**﴾. ﴿**ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور**﴾.

لقد اقتضت سنة الله ألا يدع المؤمنين بالحق دون امتحان وابتلاء وألا يتركهم فى دنياهم دون فتنة وبلاء:

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾

(العنكبوت: ١، ٢)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾

(محمد: ٣١)

وانتصار الحق فى النفوس قد يواجه معارك ضارية فى دنيا الناس يجاهد فيها المؤمنون بأنفسهم وأموالهم ويكابدون من سفهاء عصرهم ومن المبغضين لحقهم ما يكابدون ويفتنون عن الحق بشتى الوسائل وصنوف البلاء فيقتلون ويسجنون فينتصر الحق وهم يقتلون ويغلب حقهم وهم فى نظر الناس يُغلبون. وقد يغلب المغلوب ساعة يُغلب. وينتصر المقتول ساعة يقتل. ويُرى نصره من بعده نصراً للحق الذى آمن به والحقيقة التى آثرها وقتل فى سبيلها.

وقد يبقى حديث أولئك من بعد انتصارا للحق فى نفوس لم ترهم وأجيال لم تشهد بلاءهم وفتنتهم.

ومن قرأ قصة أصحاب الاخدود رأى كيف ينتصر الحق فى النفوس فتؤثره وترضى بالموت دونه. ورأى ما كان من بعدهم من إيمان بالحق الذى ظن الغافلون أنه قد مات بموتهم وذهب بذهابهم. فلا الحق ذهب ولا من قتل فى سبيله قد مات. بل قتل من عاداه وذهب ما سواه.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١)

وفى قصة أصحاب الاخدود ـ عبر وعظات. فقد روى مسلم عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر. فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه. فاذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب

فقال: اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى. واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر. فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب أى بنى، أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى. وانك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على، وكان الغلام يبرىء الأكمة[1] والابرص ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك ـ وكان قد عمي ـ فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لَكَ أجمع إن أنت شفيتنى. قال: إنى لا أشفى أحدا. إنما يشفى الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه. فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من رد عليك بصرك ؟ قال: ربى. قال: ولك رب غيرى ؟ قال: ربى وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجىء بالغلام، فقال له الملك: أى بنى ! قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والابرص، وتفعل ما تفعل ؟ فقال: انى لا أشفى أحدا. إنما يشفى الله عز وجل. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجىء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى. فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جىء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جىء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه. فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا. وجاء يمشى إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور[2] فتوسطوا به البحر. فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا. وجاء يمشى إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلى، حتى

(١) هو الذى ولد أعمى.

(٢) هو السفينة الصغيرة.

تفعل ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام . ثم ارمنى ، فانك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم فى كبد القوس ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه . فوقع السهم فى صدغيه ، فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام . فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حَذَرُكَ قد آمن النـاس . فأمـر بالاخـدود بأفـواه السِّكك فخُدَّتْ وأَضْرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها . أو قيل له اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها . فتقاعست أن تقع فيها . فقال لها الغلام : ياأمه اصبرى فإنك على الحق .

أرأيت كيف ينتصر الحق فى النفوس وكيف يؤثره أهله ؟

أرأيت ما فعل الغلام وكيف جاد بنفسه ليحق الحق الذى آمن به ؟

أرأيت ما كان بعد قتله من إيمان الناس برب هذا الغلام وجهرهم بالحق الذى قتل فى سبيله ؟

أرأيت كيف عز الحق فى نفس الراهب وجليس الملك فلم يقبلا أن يقولا غيره أو يركنا إلى شىء سواه . وهما يكرهان على القول والرجوع عن الحق ؟ .

ثم أرأيت الأم ماذا سمعت من صبى لها وكيف أقدمت وصبرت حين علمت أنها على الحق ؟

قد يظن أولئك الذين فُتِنوا بدنياهم . أن تلك هى خاتمة المطاف لقصة اولئك ومن كان على دربهم . ويغيب عنهم أن انتصار الحق فى نفوس هؤلاء يعنى فوزهم به . وخذلان من نقموا منهم أو أساءوا إليهم .

والقـرآن الكـريم يسجل ذلك فى آيات تتلى على سمع الزمان وفيها خاتمة المطاف وانتصار أهل الحق وفوزهم أيما فوز وانتصار.

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا

قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾

(البروج: ٤ - ١٦)

يقول صاحب الظلال - وهو ممن سار على الدرب - إن الذى حدث فى الأرض وفى الحياة الدنيا ليس خاتمة الحادث وليس نهاية المطاف. فالبقية آتية هناك. والجزاء الذى يضع الأمر فى نصابه. ويفصل فيما كان بين المؤمنين والطاغين آت. وهو مقرر مؤكد. وواقع كما يقول عنه الله:

﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات** ﴾. ومضوا فى ضلالهم سادرين. لم يندموا على ما فعلوا... ﴿**ثم لم يتوبوا**﴾. ﴿**فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**﴾. وينص على «الْحَرِيق» وهو مفهوم من عذاب جهنم. ولكنه ينطق به وينص عليه ليكون مقابلا للحريق فى الاخدود. وبنفس اللفظ الذى يدل على الحدث. ولكن أين حريق من حريق ؟ فى شدته أو فى مدته ! . وحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق. وحريق الآخرة بنار يوقدها الخالق. وحريق الدنيا لحظات وتنتهى. وحريق الاخرة آباد لا يعلمها الا الله. ومع حريق الدنيا رِضَى الله عن المؤمنين. وانتصار لذلك المعنى الانسانى الكريم. ومع حريق الاخرة غضب الله والارتكاس الهابط الذميم.

ويتمثل رضا الله وانعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الجنة ﴿**إن الذين**

آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾. وهذه هى النجاة الحقيقية: ﴿ذلك الفوز الكبير﴾. والفوز: النجاة والفلاح. والنجاة من عذاب الاخرة فوز. فكيف بالجنات تجرى من تحتها الأنهار.

بهذه الخاتمة يستقر الامر فى نصابه. وهى الخاتمة الحقيقية للموقف فلم يكن ما وقع منه فى الأرض إلا طرفا من أطرافه. لا يتم به تمامه. وهذه هى الحقيقة التى يهدف إليها هذا التعقيب على الحادث لتستقر فى قلوب القلة المؤمنة فى مكة. وفى قلوب كل فئة مؤمنة تتعرض للفتنة على مدار القرون[1] ١ هـ.

وفى هذا الدرب الطويل ترى شواهد لانتصار الحق فى النفوس وإيثاره والرضا بالموت دونه ما يجعلك توقن أن الحق هو أعز ما يُحْرص عليه وأعظم ما توهب الحياة به ولا توهب بغيره. وتهون فى سبيله المصاعب والشدائد ولا تهون فى شىء سواه.

واقرأ ان شئت حديث سلمان الفارسى الذى انتقل من بلد إلى بلد ولقى ما لقى وبيع كما تباع السلعة طلبا للحق ورغبة فى الوصول إلى من بعث بالحق صلى الله عليه وسلم ليسمع منه ويؤمن به.

واقرأ ما جرى لخبيب بن عدى وما دار معه لتعرف كيف يعز الحق وينتصر فى النفوس فلا تنشد حياتها إلا به ولا ترى فوزها إلا بالموت عليه.

لقد خرج به كفار مكة إلى التنعيم ليقتلوه وقالوا له ـ وقد أوثقوه رباطا «ارجع عن الإسلام ونخلى سبيلك فقال: لا اله الا الله. والله ما أحب أنى رجعت عن الإسلام وأن لى ما فى الأرض جميعا. قالوا: فتحب أن محمدا فى مكانك وأنت جالس فى بيتك ؟. فقال: والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنى جالس فى بيتى. فجعلوا يقولون: ياخبيب ارجع !! قال: لا أرجع أبدا قالوا: أما واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك. قال: إن قتلى فى الله لَقَلِيلٌ[2]. وقتل وهو يوحد الله ويشهد أن محمدا رسول الله.

---

(١) راجع فى ظلال القرآن: سورة البروج.

(١) امتاع الاسماع للمقريزى: تحقيق: محمود محمد شاكر.

وكم سمعنا من قتيل فى سبيل الحق يهتف ويقول فزت ورب الكعبة ويعلن سعادته بلقاء ربه . وفى ذلك دليل على تأثر النفوس بالحق وتأثيره فيها وانتصاره على كل ما عداه .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

(المائدة: ٨٣، ٨٤)

هكذا يفعل الحق فى قول الانسان وعمله، تأثير بالغ فى فيض العين، ولين القلب، وصحوة النفس، وتعلقها بما هو أسمى وأبقى . هكذا يفعل الحق عند سماع آياته . وهكذا تكون النفس عند مجىء بيناته :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر: ٢٣)

وتدبر أمر السحرة مع فرعون وقد جاءوا إليه لغرض فَحَوَّلَهُمُ الحقُّ لغرض آخر:

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الاعراف: ١١٣-١١٦)

ذاك ما فعلوه وما جاءوا له . فماذا كان حالهم بعد أن ظهر الحق وجاءت آياته .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾

(الاعراف: ١١٧ ـ ١٢٢)

هكذا فعل الحق بهم وهكذا كان انتصاره فيهم: ﴿وألقى السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون﴾. وما صرفهم عن الحق ـ وقد عرفوه ـ تهديد فرعون أو وعيده:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾

(الاعراف: ١٢٣ ـ ١٢٦)

وعلى مر الزمان ترى رجالا يهدون بالحق وبه يعدلون لا يصرفهم عنه صارف:

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٥٩)

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الاعراف: ١٨١)

وانتصار الحق فى النفوس يأتى فى صور متعددة. نراه فى صبر مجاهد. وفى توبة تائب. وفى سخاء كريم. وعفة فقير. نراه فى خضوع النفس لدوافعه وانقيادها لأوامره. ووجل القلب لحديثه ويقينها بوعده ووعيده.

ترى انتصار الحق فى نفس امرأة العزيز فتعترف بعد إنكار. وتعود بعد شرود. انتصر الحق فى نفسها فلم تستطع إلا أن تخضع لسلطانه وأن تشهد بطهر يوسف وعفته وأنه لم يراودها وانما هى التى راودته عن نفسه ﴿**الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾. انتصر الحق فى نفسها فنطقت به وآثرته على ما سواه طلبا لمغفرة ربها ورحمته. وهل تطلب الرحمة إلا به. وتنال إلا بايثاره. ان رحمة الله حق كتبها على نفسه. والحق لا يطلب الا بالحق. وما عند الله لا يطلب إلا بطاعته.

والاعتراف بالحق هو مفتاح الطلب. والانابة إلى الله هى باب الدخول إلى رحمة الله ومغفرته. ومن أبى الحق وأصر على إنكاره. فقد أبى الدخول إلى الرحمة وأعرض عن المغفرة: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يارسول الله قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى**».

وطاعته صلى الله عليه وسلم طاعة للحق الذى جاء به. ومعصيته معصية للحق.

وانتصار الحق فى النفس يحقق لها فوزا وفلاحا. وتلك ميزة لا تكون إلا للحق ومنفعة لا تقوم إلا به. تخضع له النفس فتعلو. وتستجيب لأمره فتسمو، وتعتصم به فتبرأ من العيوب وتسلم من النقائص وتلجأ إلى غيره فلا تأمن إلا باللجوء إليه.

فأنعم به من منتصر لا يفاخر بنصره. ومن كريم لا يغلق بابه على قاصده. أو مقبل عليه مهما أساء إليه. ومن محسن يبر بمن كان قد حاربه أو صد عنه ويفتح له المجال ليصلح ويحسن بعد أن أفسد وأساء.

انه الحق. والحق خير كله. وبر كله. وصدق كله. وعدل كله. يذنب المذنب فيتوب فلا يعيره بذنبه. ويعرض المعرض فيؤوب فيبر به ويكرمه. تتحول به النفس من ضلال إلى هدى. ومن فجور إلى تقى. ومن ظلام إلى نور. ومن خوف إلى أُنس. ومن خسران

إلى فوز. ومن جهل إلى علم. ومن سفاهة إلى حلم. ومن ابتغاء غير الله إلى عبادة الله. ومن الخلود إلى الأرض إلى رجاء فى السماء. ومن الإساءة إلى الخلق إلى الإحسان إليهم والبر بهم. ومن الظلم للنفس وللغير إلى العدل مع النفس والغير. ومن نصرة القريب مهما ظَلَمَ إلى الأخذ على يده اذا ظَلَم.

ومن وأد البنات إلى تكريمهن وحسن تربيتهن. ومن الخصومة والتباغض إلى الاخوة والتراحم. ومن التناكر والتقاطع إلى التعاون والتعارف.

ذاك هو الحق وتلك بعض نتائج انتصاره فى النفس وايثاره. :

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الحج : ٥٤)

ايمان بالحق نشأ عن علم ومعرفة. وجلت له القلوب. وظفرت بهداية الله واستقامت على صراط مستقيم.

ومن آمن بالحق أبصر نتائجه وأدرك عواقبه. ومن لم يؤمن أيقظته طلائعه وصبحته قوارعه.

والمؤمن يتعهد قلبه بذكر الله وما نزل من الحق كما تتعهد جنة بوابل أو طل فتؤتى اكلها وثمارها كل حين بإذن ربها.

وإحياء النفوس بالحق لا يتوقف. وعطاؤه لا ينقطع بل يتجدد تجدد الماء فى السماء فيصيب الله به من يشاء ويصرفه عمن يشاء وهو هو من قبل ومن بعد. لا تنبت الأرض بغيره ولا تحيا بسواه.

والماء هو الماء فى ماض وحاضر والحق هو الحق فى سابق ولاحق. من آمن به اليوم

وجد نفسه مع السابقين من المؤمنين يحس بإحساسهم ويشعر بشعورهم ولا يجد فارق زمن بينه وبينهم بل يقول فى ثقة ذلك هو الحق الذى آمن به السابقون وجاء به النبيون كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه الوحى هذا الناموس الذى أنزله الله على موسى . وكما قال من آمن من أهل الكتاب حين تلى عليهم ما أنزل الله :

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾

(القصص : ٥٣)

الحق له خصائصه وله آثاره ونتائجه وله نبته وثماره التى لا تسند إلى غيره ولا تكون لسواه .

ومن رأى النخل باسقات لها طلع نضيد لم يخف عليه أن فى التربة ماء وهو يعلم أن نبات كل شىء ينسب إليه وأن الحياة لا تكون بدونه ، وأهل العلم والإيمان فى كل زمان ومكان يعرفون ما للحق من حياة ولا تخفى عليهم آثاره وثماره :

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

(سبأ : ٦)

والحق فى نفوس هؤلاء ينتصر على ما سواه ويرون به ما هم مقبلون عليه وصائرون إليه يرون أخراهم فى دنياهم ويعملون لها ويشفقون منها . ينتصر الحق فيرفع أصحابه عن الخلود إلى الأرض ويطوعهم لعمل الخير ويجعل نفوسهم تنظر ما قدمت لغد . ولا يرون غير الحق أصلا للحياة وسببا للبقاء ولا يمارون فى وقائع الحق وآياته ولا يجادلون فى الساعة التى تكون بالحق للفصل بين من اتبع الباطل ومن اتبع الحق .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾

(الشورى: ١٧، ١٨)

ان الذين آمنوا بالحق ينتصر الحق فى نفوسهم فلا تلهيهم العاجلة عن الآخرة ولا تصرفهم الرغائب عن العواقب. بل يمشون فى الأرض يبتغون من فضل خالقهم وهم يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم ﴿**والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق**﴾. ذاك ما يحققه إيمانهم بالحق يخلصهم من الركون لدنياهم ولا يجعل لها سلطانا عليهم بل تكون بسبب الحق الذي آمنوا به خادمة لغايتهم خاضعة لمقاصدهم يريدون بها الاخرة فيصلحون ولا يفسدون ولا يريدونها فى ذاتها فيفسدون ولا يصلحون. واشفاقهم من الساعة نصر للحق وإعلاء للصدق واشاعة للبر وإمساك عن الشر وتلك وربى دعائم السلم لمن طلب السلم وأسباب الأمن لمن ابتغى الأمن.

ومن انتصار الحق وايثاره ما كان من حديث الجن مع قومهم. ومن تواصى أهل الايمان بالحق وبالصبر فيما بينهم. ومن إصرار هؤلاء واولئك على اتباع الحق وثباتهم عليه أمام كيد الأعداء وتكاثر الإغراء ومفاسد الأهواء. ولم يكن انتصار الحق فى النفوس انتصار مظهر يكون ثم يذهب بل هو انتصار حقيقة تبقى وخصائص تلازم الإنسان وتحدد مساره ويجدها فى ساعة موت وحساب وجزاء ويتحرك بمقتضاها حركة حياة يدعو إليها فى ثبات ويحذر من مخالفتها فى ثقة ويحيا بها ولها فى طمأنينة ويقين. وهذا ما كان من الجن حين استمعوا القرآن وبلغوا ما سمعوا:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

(الاحقاف: ٣٩ ـ ٣٢)

ليس انتصار الحق فى النفوس وإيثاره فى معركة طارئة من معارك الحياة فحسب بل هو انتصار يقود إلى ملازمة اتباع. اتباع للحق فى كل شأن وطاعة له فى كل أمر:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾

(محمد: ٢، ٣)

وليست هذه الملازمة فى الاتباع ترتبط بمعنى يقف عند حدود الحياة الدنيا ولا يزيد. بل هو اتباع يتجاوز حدود الحياة إلى غيرها وينشد ما وراءها وشتان ما بين اتباع واتباع. بين اتباع الباطل فى بطلانه، وبين اتباع الحق فى ثباته وبقائه. شتان ما بين النتائج والعواقب فى الحالين. وشتان ما بين الفريقين:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣

(سورة العصر)

تواصٍ بالحق يدل على ايثاره، وتواصٍ بالصبر يدل على دوامه، وتآزر يدل على الاصرار على الثبات حتى الممات.

وقد يتواصى الذين يتبعون الباطل فيما بينهم لحظة من نهار. وتراهم فيما بينهم وعند تبدل الاحوال أشد الناس نكرانا لباطلهم ولمن تواصوا به. وما يبدو غير ذلك إن هو إلا إملاء واستدراج ينتهى بدمار وخسران:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾

(الجاثية: ٢٧)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(العنكبوت: ٥٢)